الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللّغة العربيّة وآدابها

تخصّص: دراسات نقديّة

هندسة المكان في النص الروائي العربي
رواية الجرح الأخير لبركات جمال الدين أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبة:
- أمينة بحيري

إشراف الأستاذ:
- جمال قالم

لجنة المناقشة

الأستاذة : صليحة لطرش	جامعة البويرة	رئيسا
الأستاذ: جمال قالم	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
الأستاذة: مليكة عزيزي	جامعة البويرة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 2016/2015

كلمة شكر

وأنا أخطو خطواتي الأخيرة في الحياة الجامعية لا بد لي من وقفة أعود بها إلى أعوام قضيتها في رحاب الجامعة مع أساتذتي الكرام الذين قدموا لي الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد وقبل أن أمضي أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين :

حملوا أقدس رسالة في الحياة ....

إلى الذين مهدوا لي طريق العلم والمعرفة....

إلى جميع أساتذتي الأفاضل ....

وأخص بالتقدير والشكر أستاذي المشرف جمال قالم .

أمينة

إهداء

اهدي هذا العمل:

إلى التي جاء في القران ذكرها وجعلت الجنة تحت قدمها إلى نبع الحنان والبر والإحسان إلى وردة الريحان أمي " ذهبية ".

إلى الذي ساندني بثقة لا متناهية إلى الذي أنار طريقي طول سنوات دراستي وغرس في روحي الأخلاق الفاضلة إلى تاج راسي أبي " محمد".

إلى أخواتي نعيمة ليلى نبيلة مسعودة ويداد .

إلى أخي الوحيد عبد الرحمان .

إلى الشموع التي تنير البيت دائما وأبدا سلسبيل مريم وملاك .

إلى جميع أساتذة كلية الأدب العربي وعلى رأسهم الأستاذ المشرف جمال قالم .

أمينة

مقدّمة

مقدمة

أولت الدراسات الأدبية بمختلف أنواعها في العصر الحديث اهتماما بالغا بالمكان في الرواية باعتباره الهيكل الأساسي الذي يبنى عليه أي عمل روائي، والذي تتشكل من خلاله بنية النص المكانية باعتباره عنصرا هاما في الشكل الجمالي للأحداث، فهو ليس مجرد ترف يكثر به الكاتب سواد الصفحات بل هو ركن أساسي ورئيس من أركان العمل الروائي الحديث حيث يعد المكان مع الزمان والمنظور أهم العناصر التي انكب النقد المعاصر على دراستها وتمحيصها.

إذا للمكان أهمية كبيرة في الرواية، باعتباره أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز الكاتب وتحليل شخصياته النفسية لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي، وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته وتأصيل لهويته، فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهمية وجوده، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن المكان يضيق بحياة الإنسان لأن وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره فلا تكتسب الذات أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجود فيه، فقد تعاظمت أهمية المكان في الأدب وازداد هذا الاهتمام على وجه الخصوص في مجال الرواية باعتبارها ديوان العرب كما أصبحت تسمى اليوم.

ومن هنا كانت الإشكالية التي سأحاول الإجابة عنها وهي:

– ما المقصود بالمكان وكيف تمظهر عبر رواية الجرح الأخير؟ والى أي مدى ساهم المكان في تكوين معمارية العمل الروائي؟

ويرجع اهتمامي بهذا الموضوع في البداية إلى مجرد فضول علمي، ثم رغبة في معرفة تقنية النصوص السردية الحديثة التي يلعب فيها المكان دور فعال ثم عندما قرأت رواية الجرح الأخير اتضح لي أنها رواية مكانية.

ويعود سبب انتقائي على وجه التحديد دراسة هذه الرواية – الجرح الأخير – للطالب الروائي الجزائري بركات جمال الدين، أولا للتعريف بالروائي وكذا الرواية التي تعد أولى تجاربه في المجال الروائي.

وقد اعتمدت في دراستي هاته على المنهج البنيوي ووظفت أدواته ومفاهيمه للوصول إلى نتائج موضوعية قريبة من الدقة.

كما اعتمدت في بحثي على عدة مراجع من بينها كتاب "شعرية الفضاء السردي" لحسن نجمي، وكتاب "منطلق السرد" لعبد الحميد بورايو و"بنية الشكل الروائي" لحسن بحراوي، بالإضافة إلى كتاب "بنية النص السردي" لحميد الحمداني.

ولأن الدراسة تحمل جانبا نظريا وأخر تطبيقيا فقد قسمت بحثي إلى مقدمة وفصلين خصصت الفصل الأول للتعريف بكل من المكان والفضاء وإبراز التعالق بينهما، أما الفصل الثاني والذي كان تطبيقيا فقد بينت فيه كيفية تجلي المكان عبر الرواية، ثم في الأخير أدرجت خاتمة ضمت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

أما إذا انتقلنا إلى الصعوبات التي اعترت هذا البحث فنستطيع أن نجملها في تشعب موضوع المكان وصعوبة الإلمام به.

وأخيرا أقول أن عملي هذا يظل مجرد محاولة بحثية بسيطة، كما أنني لا أدعي أن يكون هذا البحث قد غطى كل ما يتعلق بالمكان، ولكني أتمنى أن يكون قد أسهم ولو بقدر بسيط في فتح الباب أمام دراسات أخرى مستقبلية تكون أكثر تعمقا وإلماما بهذا الموضوع.

وأتقدم بأسمى عبارات الشكر والإمتنان وأصدق كلمات التقدير والعرفان للأستاذ جمال قالم على كل النصائح والتوجيهات التي قدمها لي، وعلى مساعدته لي لإتمام هذا العمل.

إذا نظرنا إلى صلة الإنسان بالمكان نجدها صلة ذات أبعاد قديمة حيث "تتبع أهميته من المقولة التي تذهب إلى أن أفعال الخلق تقع في زمان ومكان، ومن هذه المقولة يمكننا أن نستشف بصدق ووعي أن فكرة وجود الكائن الحي في مكان ما فكرة قديمة تؤيدها الآيات القرآنية الكريمة التي تواترت على وجود الإنسان في مكان معين يعد أساس حياته ودوامها واستقرارها، ومن هنا فالمكان يمثل الحيز الأكبر في حياة الإنسان ففيه يعيش ويحتمي وإليه يعود بعد الموت، فنحن لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان بل وحتى أن هذا الكون الفسيح بنفسه الكبير بحجمه لا بد له من مكان يحتويه"[1].

نفهم من هذا القول أن المكان يشكل إطار كل حياة وحيز كل فعل وكل حركة، بل ويعتبر الإطار الذي يحوي كل الموجودات وحركتها وسيرها ونشاطها.

كما يمكن أن نعتبره "حاضن الوجود الإنساني وشرطه الرئيسي وأكثر متلازماته قابلية للتحول واختزال المفاهيم واللإكتظاظ بعدد كبير من الحدود والتصورات والمحاميل وشحنات الجمال"[2].

أما إذا انتقلنا للحديث عن المكان الروائي فنستطيع أن تعتبره "عنصر أصيل ومكون أساسي لا يمكن التغاضي عنه أو إغفاله في دراسة النص، إذ الشخصيات تتحرك في حيز مكاني والأحداث لا بد لها من مكان تقع أو تدور فيه كما أنه لا يعد عنصرا تزيينيا تكميليا يأتي لتحقيق غاية جمالية فحسب بل يأتي في الرواية الجديدة كمكون أساسي تفقد الحكاية رؤيتها وبنيتها الدلالية بدونه ليبدو النص ناقصا ومبتورا "[3].

(1) محمد عويد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، مؤسسة دار الصادق الثقافية، الأردن، 2012، ص: 74

(2) نجلاء مشعل، تحليل الخطاب الروائي النسوي نموذجا، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص:113.

(3) نفسه ، ص : 114.

بمعنى أن المكان عنصر مهم لا يمكن اللإستغناء عنه أو اعتباره عنصرا تكميليا، حيث أنه يسهم مع بقية مكونات السرد الأخرى في إعطاء الدلالة الكاملة للنص.

كما أنه "ليس معزولا عن باقي مكونات السرد ولا يمكن دراسته منفصلا عنها، فعدم النظر إليه في تفاعله مع هذه المكونات يجعل التأويل قاصرا عن إدراك الأبعاد الدلالية، فالمكان له بنيته المؤثرة في كل مكونات السرد من زمان وحدث وشخصيات وقد عده البنيويون عنصرا فعالا في تماسك الحوادث والشخصيات الروائية وبالغ بعض النقاد وعده الهدف من وجود العمل كله فرأى أن تحليل الفضاء الروائي هو الذي سيسمح لنا بالقبض على الدلالة الشاملة للعمل في كليته"[1].

نفهم من هذا القول أن المكان في العمل الأدبي – الروائي على وجه الخصوص– لا يمكن أن ندرسه بمعزل عن باقي مكونات السرد الأخرى لأن له دوره الفاعل في الوصول إلى الدلالة العامة للنص كما أنه يساعد على ترابط النص من خلال تفاعله مع مكونات السرد من أحداث وشخصيات.

كما يعتبر"أهم المحاور الروائية في إبراز فكرة السارد وتحليل الشخصيات النفسية، لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي فهو الإطار الذي تدور فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات"[2].

نستخلص من هذا التعريف أن المكان الروائي أحد أهم العناصر الروائية لأنه الإطار الذي يحوي الشخصيات التي تتحرك داخله.

كما أنه لا يمكن أن نغفل على أن للمكان قيمة مهمة في بنية النص الروائي لأنه" يمثل العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها بعضا"[3].

---

(1) نجلاء مشعل ، المرجع السابق، ص: 114.

(2) هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص:277.

(3) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص : 53.

كما اعتبره هيام شعبان "العنصر الفاعل والمكون الجوهري في الرواية وأنه يصبح صاحب السيادة المطلقة في إنتاج الشخوص والأحداث"[1].

توضح هذه الفكرة عدم اقتصار المكان على الحدث والشخصيات بل تجلى بطلا رئيسيا ينطلق من خلاله السارد لبلورة أفكاره وتوضيح وجهة نظره.

لهذا يرى أن وضع تعريف للمكان يوجب التطرق إلى بعض العلوم التي تناولته بالدرس، والتي انبثقت عنها مفاهيم متعددة للمكان، فأرسطو وأفلاطون تحدثا عن المكان في إطار فلسفي وتناولا علم الرياضيات والهندسة والفيزياء بالدرس فكان الركن الأساسي فيها، ثم ما لبث أن دخل عالم هيم الأدب بشعره ونثره، وإن تكن معالمه أوضح في الرواية والقصة[2].

(1) هيام شعبان، المرجع السابق، ص: 277.

(2) حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر- أحمد عبد المعطي نموذجا-، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص: 15.

الفصل الأوّل

التمييز بين المكان والفضاء

I- المكان مفهومه وأنواعه:

1- مفهوم المكان لغويا:

ورد مفهوم المكان في معجم العين في مادة (كوّن) وفيه يقول: المكان اشتقاقه من كان يكون فلما كثرت صارت الميم كأنها أصلية، فجمع على أمكنة، ويقال أيضا: تمكن كما يقال من المسكين تمسكن، وفلان مبني مكان هذا وهو مبني موقع العمامة وغير هذا ثم يخرجه العرب على المفعل ولا يخرجونه على غير ذلك من المصادر[1].

كما أورد الخليل أيضا المكان في مادة مكّن إذ قال: المكان في أصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضع الكينونة غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال، فقالو: مكنا له وقد تمكن وليس أعجب من تمسكن من المسكين والدليل على أن المكان مفعل أن العرب لا تقول هو مبنى مكان كذا وكذا إلا بالنصب[2].

فالخليل هنا يركز على المكان في أصل تقدير الفعل والتي لا ترجع إلى فعال بل إلى مفعل.

كما جاء في لسان العرب لابن منظور في باب مكن، وباب كون والمكان الموضع والجمع أمكنة كقذال، وأقذلة وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك ، فقد دل هذا على أنه مصدر من مكان أو موضع فيه، قال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف، كما قالوا منارة ومنائر فشبهوها بمفاعلة وهي مفعلة من النور[3].

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مج 4، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003 ص: 52.

(2) نفسه، ص : 53.

(3) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مج 13، دار صادر، ط 04، لبنان، 2005، ص: 113.

2- مفهوم المكان عند الفلاسفة:

احتل مفهوم المكان أهمية كبيرة في أبحاث الفلاسفة فأولوه عناية خاصة في معظم مؤلفاتهم حيث "صرح أفلاطون بأول استعمال اصطلاحي للمكان إذ عده حاويا وقابلا للشيء، فأخذ أهميته في البحث الفلسفي بعد هذه الإشارة.

أما أرسطو فقد قسم المكان إلى قسمين: عام وفيه الأجسام كلها، وخاص لا يحوي أكثر من جسم في آن واحد، وتبع أرسطو في موقفه من المكان الفلاسفة العرب كالكندي والفارابي وأخوان الصفا وقد أدرك أبو علي المرزوقي حقيقة أن المكان جوهري وليس عرضي، وكشف مبكرا عن جدلية العلاقة بين الإنسان والمكان، مشيرا إلى اتصال المكان بالحركة كاللإنتقال من مكان إلى آخر واتصاله بالزمن بوصف الأخير سيالا بحركة الجسم بينما المكان ثابت وغير متحرك"[(1)].

نفهم من هذا القول أن أرسطو قسم المكان إلى قسمين مكان مشترك أو عام ويوجد فيه أكثر من جسم واحد، ومكان خاص يوجد فيه كل جسم على حدة.

3- مفهوم المكان اصطلاحا:

اهتمت الدراسات الأدبية بمختلف أنواعها بعنصر المكان حيث " أدرك دارسو الأدب ونقاده ما للمكان من أهمية بارزة وحضور مشرق على مساحة النص الأدبي فأولوه عناية خاصة ورعاية كبيرة مما يمكن أن نعده تفجيرا تنظيريا لمصطلح نقدي قامت على مفهومه وأنماطه دراسات كثيرة بعد أن كان مصطلحا ميثولوجيا فلسفيا قديما"[(2)].

(1) حميد عبد الوهاب البدراني، الشخصية الإشكالية مقاربة سوسيو ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي الروائي دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، بيروت، 2013، ص : 43.

(2) محمد عويد الطربولي، المرجع السابق، ص: 08.

هذا من جهة "أما على صعيد الدراسات الحديثة فقد يعود ظهور هذا اللإهتمام المتزايد بالمكان وأنماطه ودلالته إلى ظهور كتاب جماليات المكان لمؤلفه غاستون باشلار G.Bachelar، فكان النافذة التي أطل منها الدرس النقدي العربي الحديث على مفاهيم جديدة للمكان، وكانت انطلاقة الناقد العربي الذي أضفى على تلك المفاهيم رؤى جديدة تنسجم إلى حد كبير مع ما وجدوه من مادة ثرية في أدبنا العربي، كان المكان فيها شاخصا متميزا كما أنها تنسجم في الوقت ذاته مع طبيعة المكان وبنائه الفني في العمل الأدبي على أن هذه الدراسة الظاهرتية أبقت على الأسس المادية للمكان ووقفت فيما وقفت عليه تجليات المكان الظاهرة منطلقة من مصدر المحبة والألفة نحو العالم المحسوس والكون (الفضاء الخارجي) وتركت أشياء مهمة أهمها الغوص عميقا في دلالة النص الأدبي ومعانيه المجازية التي يرمي هذا النص استكناه غموضها وبيان أثرها في المتلقي"[1].

أعقب تلك الدراسة دراسات أخرى اهتمت بالمكان وتتبعت أنساقه وأنماطه ودلالاته وكشفت عن وافر من النتائج الموضوعية والفكرية والفنية التي تفيد في تعقب مشاكل النص الأدبي وإظهار سماته وخصائصها والتي يترك المكان فيها أثرا مشرفا ويحتل في بنيتها مفصلا حيويا"[2].

وفيما يلي سوف أعرض بعض الآراء والتعاريف لمفهوم المكان عند بعض النقاد والباحثين بادي ذي بدأ نعرض ما ذهبت إليه الباحثة سيزا أحمد قاسم إلى القول بأن "مكان الرواية ليس المكان الطبيعي، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة"[3].

---

(1) محمد عويد الطربولي، المرجع السابق، ص: 09

(2) نفسه، ص: 10.

(3) سيزا احمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984، ص: 74.

بمعنى أن المكان الروائي هو مكان خيالي يتشكل عن طريق الكلمات، وقد يشبه عالم الواقع وقد يختلف عنه، فإذا شابهه فهذا الشبه خاص يخضع لخصائص الكلمة التصويرية، فالكلمة لاتنقل إلينا عالم الواقع بل تشير إليه وتنقل صوره[1].

أما ياسين النصير فيرى أن مفهوم المكان الروائي كباقي عناصر البناء الفني وذلك في قوله " إن المكان عندنا شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني، يتجدد عبر الممارسة الواعية للفنان، فهو ليس بناءا خارجيا مرئيا ولا حيزا محدد المساحة، ولا تركيبا من غرف وأسيجة ونوافذ بل هو كيان من الفعل المغير والمحتوي على تاريخ ما"[2].

وعليه فإن ياسين النصير يرى أن مفهوم المكان كيانا اجتماعيا أي أنه وسط يتفاعل فيه الإنسان مع غيره، حيث ينقل مختلف التعاملات التي تنظم العلاقات البشرية.

وقد عرفه حسن بحراوي في كتابه بنية الشكل الروائي بأنه" شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث"[3].

نفهم من هذا القول أن المكان يصبح كمنسق داخل الرواية ويجمع مكوناتها ويحاول أن يربط بعضها بعضا ، كما أنه يساهم في ترتيب العمل السردي لذا فقد غدا عنصرا حكائيا هاما قائما بذاته وله سلطته على الأحداث والشخصيات والأفعال داخل النص.

كما يذهب طه وادي إلى أن المكان في الحقيقة هو البيئة التي يعيش فيها الإنسان والتي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية، وعلى الروائي أن يهتم برسم المكان وتحديده لأنه يعطي الحدث النفسي قدرا من المنطق والمعقولية"[4].

---

(1) سيزا أحمد قاسم ، المرجع السابق ، ص: 78.

(2) ياسين النصير، إشكالية النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986، ص: 277.

(3) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص: 45.

(4) طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص: 39.

نستنتج من هذا التعريف أن طه وادي أعطى أهمية كبيرة للمكان باعتباره المركز الذي يعيش فيه الإنسان ويتعايش معه، وعلى الروائي أن يهتم برسم أبعاده لأنه هو الذي يحدد الحدث في القصة أو الرواية ويكسبه قدرا من المنطقية.

4- أنواع الأمكنة :

تعددت الأمكنة بتعدد استخدامها في النص الروائي والقصصي، وهذه جملة من آراء النقاد حول أنواع المكان.

إذا كانت الدراسات الغربية سباقة لوضع تصور حول أنماط المكان، حيث يمكن التوقف عند ما توصل إليه بروب من تقسيمه للمكان في الحكاية الخرافية إلى ثلاثة أطر وهي[1]:

1. المكان الأصل: يعتبره عادة مسقط الرأس أو محل العائلة.
2. المكان العرضي أو الوقتي: يحدث فيه اللاإختيار الترشيحي.
3. المكان المركزي: هو الذي يقع فيه الإنجاز.

يشير سلمان كاصد أيضا لتقسيم غريماس الذي عدل تلك الأمكنة مستخدما أخرى معبرا عن فهم آخر للمكان، إذ أطلق على المكان الأصل مصطلح مكان الإنس الحاف وتتمثل وظيفته في خلق مبررات الأسفار والأفعال، أما المكان العرضي أو الوقتي فقد عرفه بالمكان المجاور للمكان المركزي الذي أسماه باالامكان مبينا بذلك أن الفعل المغير للذات والجوهر لا يمكن أن يتجسد في إطار مكان معين[2].

ونجده أيضا يوضح تقسيما للناقد العربي هلسا، فالتقسيم عنده أربعة أنواع[3]:

1. المكان المجازي: هو المكان المفترض الذي يكون إدراكه ذهنيا ولكننا لا نعيشه.

(1) سلمان كاصد، عامل النص السردي دراسة في الأساليب السردية، دار الكندي، بيروت، 2003، ص: 129.
(2) نفسه، ص :129.
(3) نفسه، ص 129.

2. المكان الهندسي: تعرضه الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة وحياد (مكانا خرائطيا وليس مكانا فنيا) .

3. المكان المعاش: مكان التجربة المعاشة داخل العمل الروائي والقادر على إثارة ذكرى عند القارئ.

4. المكان المعادي: وهو المكان الذي يأخذ تجسداته في (السجن، مكان الغربة...) وله صفات المجتمع الأبوي.

ويمكن القول أن المكان المعاش هو المكان الذي عاشه مؤلف الرواية حتى لو ابتعد عنه أخذ يعيشه بخياله، وأنه لو عاد إليه حتى في الظلام سوف يعرف الطريق إلى داخله.

ويبدي الناقد محمد برادة نقدا لهذا التقسيم، فالمكان المجازي لا يطابق الواقع والمكان داخل أي نص أدبي يصبح في النهاية نوعا من المجازية كما لا يمكن القول مكانا هندسيا ومكانا معاشا لأن جميع الأمكنة لها أبعاد هندسية.

ويرى محمد برادة أن المكان نوعان[1]:

فضاءات ممكنة: حيث يمكن إرجاعها إلى مرجع معين.

فضاءات متخيلة: لا يمكن أن نعود إلى خارج النص أو إلى مرجع.

ويقدم ياسين النصير تصوره لأبعاد المكان في كتابه " الرواية والمكان " الذي تكلم فيه عن الأماكن المفترضة والأماكن المغلقة والأماكن العامة حيث يقول: "إن ثمة أمكنة مفترضة مبنية من خلال المخيلة فقط، وحاول الكتاب عبر هذا الافتراض أن يغيروا العالم كما قالوا، في حين أنهم لم يسهموا في تغيير واقعهم " [2]

(1) سلمان كاصد ، المرجع السابق ، ص : 29

(2) ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص: 19.

ويأتي الباحث شجاع العاني ليقدم فهما آخر لطبيعة المكان في النص القصصي وذلك بتقسيم المكان إلى أربعة أنواع[1].

1- المكان المسرحي: المكان المغلق المتسم بتحديد رؤيتنا له نتيجة صغره وضيقه.

2- المكان التاريخي: تجري فيه تحولات تاريخية هامة ويسمى بالمكان الزمكاني.

3- المكان الأليف: المكان الحنيني الذي يقودنا إلى زمن آخر عبر اللحظة الآنية (الصبا).

4- المكان المعادي: هو نفسه المكان المعادي عند غالب هلسا وهو السجن والمنفى.

ولا تختلف الباحثة صبيحة عودة زعرب عن باقي التقسيمات السابقة بحيث ترى أن المكان أربعة أنواع[2]:

1- المكان المجازي: هو المكان اللاإفتراضي وليس الحقيقي.

2- المكان الهندسي: توصف من خلاله الرواية أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد.

3- المكان تجربة معاشة : هو المكان الذي يشكل دون أي مكان آخر ذاتيته.

4- المكان المعادي: تتمحور حوله الأماكن الآتية: (السجن، الطبيعة الخالية من البشر، الغربة).

ويمكن القول فيما سبق أن المكان المجازي قد يكون وصفا تمر به إحدى الشخصيات الروائية مثل (الفقر، الغنى) فهذا المستوى بعيد عن المكان الذي نعيش فيه ويظل خارج تجربتنا الذاتية.

ويعرف غاستون باشلار مكان التجربة المعاشة بأنه" المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا خاضعا لقياسات... لقد عيش فيه لا بشكل وضعي بل بكل ما للخيال من التحيز "[3].

---

(1) سلمان كاصد ، المرجع السابق، ص :130-131.

(2) صبيحة عودة زعرب، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجد للنشر والتوزيع، الأردن 2006، ص: 96-98.

(3) غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 4، 1992 ص: 08.

أما عبد الحميد بورايو فيرى أن الأمكنة يمكن تقسيمها بحسب وظيفتها داخل النص الروائي إلى قسمين هما : الأمكنة المنفتحة والأمكنة المنغلقة[1].

ويقصد هنا بانفتاح الحيز المكاني احتضانه لنوعيات مختلفة من البشر وأشكال متنوعة من الأحداث الروائية، أما الانغلاق فنعني به خصوصية المكان واحتضانه لنوع معين من العلاقات البشرية[2].

أخيرا ندرج رأي حميد الحمداني الذي يرى أن "الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكلانها أيضا إلى مقياس أخر مرتبط بالإتساع والضيق ولإنغلاق ولإنفتاح"[3].

فمن هذا الرأي يمكن القول أن حميد الحمداني قسم الأمكنة إلى أربعة أنواع فبالإضافة إلى مقياس الاتساع والضيق، يتحدث عن الأماكن المتسعة والأماكن الضيقة، واستنادا إلى مقياس الانفتاح واللإنغلاق يذكر الأماكن المنفتحة والأماكن المنغلقة.

وتظهر في هذا الصدد تعدد الدراسات والأبحاث حول تقسيمات المكان عند الكثير من النقاد والباحثين سواء تلك المتعلقة بالدراسات العربية أو الغربية، فالرواية يمكن أن تجعل من كل الأماكن الواردة فيها أمكنة أساسية لا على المكان المهيمن فيها.

(1) عبد الحميد بورايو، منطلق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص: 146.

(2) ينظر، نفسه، ص: 146.

(3) حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ص 72.

5- أهمية المكان في العمل الروائي:

يحتل المكان أهمية كبيرة في الأعمال الروائية باعتباره عنصرا حيويا يضم باقي العناصر السردية من زمان وأحداث وشخصيات، نظرا للدور الذي يلعبه في تماسك بنيات النص الأمر الذي دفع بالنقاد والروائيين على حد سواء إلى إعادة النظر في هذا العنصر السردي الجوهري ومنحه المكانة المتميزة التي تليق به.

وفي هذا الصدد سوف أعرض بعض الآراء لمجموعة من النقاد التي تناولت أهمية المكان حيث نخلص إلى ما ذهب إليه الناقد حميد عبد الوهاب البدراني في كتابه الشخصية الإشكالية حيث يرى أن أهمية المكان تكمن في الترابط البنيوي للنص والتي يحققها عنصر المكان بتضافره مع بقية العناصر السردية الأخرى وذلك في قوله: "تعود أهمية المكان في الرواية إلى كونه يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي من حيث جملة العلائق النصية التي ينسجها مع قوى النص (زمن، شخصية، رؤية) فلا يمكن إدراك الزمن إلا من خلال المكان وحركته وفقا للإرتباط الجدلي بينهما فكل منهما يفترض الآخر ويتحدد به"[1].

كذلك عن أهمية المكان يقول ياسين النصير: "فالمكان يعني بدءا تدوين التأريخ الإنساني والمكان يعني الارتباط الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية، للعيش، للوجود، لفهم الحقائق الصغيرة، لبناء الروح، للتراكيب المعقدة والخفية، لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة، لتنشئة المخيلة وهي تدمج كلية الحياة في صورة مكانية"[2].

وبذلك يصبح المكان منطقا تاريخيا وحلا مسبقا لحقائق الحياة التي يعيشها الإنسان من جوانبها المتعددة، فهو لا يقتصر على كونه أبعادا هندسية وأحجاما ولكنه فضلا عن ذلك نظام من

(1) حميد عبد الوهاب البدراني، المرجع السابق، ص: 44.

(2) ياسين النصير، إشكالية النص الأدبي ، ص: 395-396.

العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني أو الذهني المجرد بل وإن إضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة يساعد على تجسيدها وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه من الإفهام، وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات اللإجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمنية، بل إن هذا التبادل بين الصور الذهنية والمكانية امتد على التصاق معان أخلاقية بالأحداث المكانية النابعة من حضارة المجتمع وثقافته، ومن هذا المنطلق يحوي التجسيد دلالات اجتماعية ودينية وسياسية ملتصقة بذات الأديب ومعبرة عن مجتمعه وفكره الحضري والثقافي ومن هنا تتأتى أهمية المكان في النص الأدبي بهذه الدلالة المختلفة[1].

كما يعد الإطار الذي تقع فيه أحداث الرواية إذ لا يمكن تصور حدث روائي بعيدا عن المكان وهذا ما ذهب إليه حميد لحمداني عندما قال " وطبيعي أن أي حدث لا يمكن ان يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني "[2].

يبرز لنا حميد لحمداني أهمية المكان والدور الذي يلعبه في الرواية، إذ لا يمكن تصور حدث إلا ضمن إطار مكاني داخل العمل الروائي.

من خلال العرض البسيط للمفاهيم السابقة نخلص إلى أن المكان باعتباره مكون فني يعمل على إقامة دعائم الرواية والحفاظ على تماسك عناصرها إذ أنه يؤثر على صيرورة الحكي ويشكل نقطة التقاء عناصر البنية ومجال تحليلها وتفاعلها ومنطلق حركتها.

(1) محمد عويد الطربولي، المرجع السابق، ص: 11.

(2) حميد الحمداني، المرجع السابق، ص: 65.

II- الفضاء مفهومه وأنواعه:

1- مفهوم الفضاء لغويا:

الفضاء في لسان العرب هو " المكان الواسع من الأرض، وقد فضا المكان وأفضى إذ اتسع وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه وأصله أي أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه، وهو بهذا المعنى المكان العاري الذي لا يشغله ولا يملاه الممتد الواسع[1].

لقد ذهب ابن منظور إلى أن الفضاء هو ما اتسع من الأرض، والخالي من الأرض.

2- اصطلاحيا:

لقد شغل مفهوم الفضاء حيزا كبيرا من تفكير بعض الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ فأولوه عناية فائقة، حيث ازداد هذا الاهتمام وتعاظم مع ظهور الدراسات الحديثة التي تناولته على أساس كونه احد المكونات السردية التي لا يقوم النص الروائي بدونها.

ومن النقاد الذين انشغلوا على الفضاء شريف حبيلة حيث يذهب إلى القول بأن "الفضاء هو شرط الوجود الإنساني الذي لا يحدد ذاته إلا به وفيه ويمارس الحضور والغياب من خلاله، فالشخص حينما يحضر إنما يحل في فضاء وعندما يغيب فهو ينتقل إلى فضاء آخر، والفضاء بهذا المعنى هو البداية والنهاية، إنه عنصر ثابت محسوس يسهل له ثباته القابلية للإدراك من طرف كائن مستقر أو متحرك"[2].

نفهم من هذا القول أن الفضاء هو ذلك الإطار الذي يحوي الإنسان وفيه يمارس حياته حتى أنه عندما يغيب فانه ينتقل إلى فضاء أخر وبذلك فهو عنصر ثابت قابل للإدراك.

---

(1) جمال الدين ابن منظور، المصدر السابق، ص: 174.

(2) شريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي، مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص: 39.

أما الباحثة سيزا احمد قاسم فتذهب إلى القول أن "الفضاء الأدبي لا يعد مادة أولية بسيطة يمكن فحصها خارج النص الأدبي لفهم النصوص السردية، بل انه يخضع أثناء تحليله إلى مستوى النص إلى مجموعة من العمليات المعقدة، منها ما يتعلق بالخصائص الداخلية للنص ومنها ما يتعلق أساسا بالبنية الحضارية الخارجية على النص التي انبثق منها مركب الفضاء"[1].

من هنا تكمن "أهمية وخصوصية دراسة الفضاء باعتباره عنصرا مهما في النص الأدبي خاصة النص الروائي وقد جاءت الدراسات السردية لتقوم بهذا الدور فأنتجت مناهج ورؤى متعددة في تناول الفضاء كعنصر مشكل للنص السردي إلى جانب العناصر السردية الأخرى"[2].

بمعنى أن عنصر الفضاء مهم في النص الأدبي والدليل على ذلك هو قيام دراسات سردية أتت بمناهج ورؤى عملت على تناوله باعتباره أحد مكونات السرد المشكلة للنص السردي.

3- أنواع الفضاء:

يمكن تقسيم الفضاء إلى خمسة أنواع: روائي، نصي، دلالي، كمنظور، فضاء جغرافي.

3-1- الفضاء الروائي:

هو فضاء لفضي يختلف عن الأماكن المدركة بالسمع والبصر، وتشكله من الكلمات يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها، وهكذا فإن الفضاء الروائي يتكون من التقاء فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطباعة، وهو المظهر التخيلي أو الحكائي[3].

(1) سيزا أحمد قاسم، المرجع السابق، ص: 75

(2) شريف حبيلة، المرجع السابق، ص: 41-42.

(3) محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2005، ص:71-72.

نفهم من هذا أن الفضاء الروائي نستطيع أن نستنتجه قبل أن تتجسد الرواية في شكل نص (يكون بين الروائي ومخيلته) حيث يمكن من خلاله أيضا أن نستنتج شخصية الروائي سواء أكانت هذه الرواية حقيقية أو من محض الخيال.

3-2- الفضاء النصي:

رفعت الدراسات الحديثة الإلتباس الذي كان واقعا بين الفضاء الروائي والفضاء النصي، باعتبار الفضاء الروائي مكونا سرديا لا يوجد إلا من خلال اللغة، فإنه يصبح موضوعا للفكر الذي يبدعه الروائي متضمنا المشاعر المكانية التي تعبر عن الكلمات، ولما كانت الكلمات تتداخل وتختلف معانيها إذ لم توضع لها علامات ترقيم، فإن الروائي حرص على وضع هذه العلامات وهكذا نشأ الفضاء النصي الذي هو الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق ويشمل ذلك تصميم الغلاف ووضع المقدمة[1].

بينت الدراسات القديمة أن الفضاء الروائي هو نفسه الفضاء النصي، لكن الدراسات الحديثة وجدت أن بينهما فرق يكمن في أن كل رواية لها فضاء نصي وذلك عند تجسيدها بالكتابة.

3-3- الفضاء الدلالي:

وقد تحدث عنه جيرار جينيت فرأى أن لغة الأدب لا تقوم بوظيفتها بطريقة بسيطة، إذ ليس للتعبير الأدبي معنى واحد، بل تتضاعف معانيه وتكثر إذ يمكن للكلمة الواحدة أن تحمل أكثر من معنى واحد، فهناك المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

يتأسس الفضاء الدلالي بين المدلول الحقيقي والمدلول المجازي وهذا من شانه إلغاء الوجود الوحيد للإمتداد الخطي للخطاب[2].

---

(1) محمد عزام، المرجع السابق، ص: 73.

(2) نفسه ، ص: 73.

يجب أن يحمل كل نص روائي هدفا ودلالة سواء أكان هذا النص حقيقة أو مجازا، بحيث أن القارئ يمكن أن يعطي الكثير من المعاني وذلك حسب مفهومه مما يؤدي في الأخير إلى تعدد الدلالة.

3-4- الفضاء كمنظور أو كرؤية:

ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح.

وقد تحدثت عنه جوليا كرستيفا فرات أن الفضاء مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب والتي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف مجتمعا في نقطة واحدة[1].

ليس في الرواية الكاتب هو الراوي دائما، بحيث نستطيع أن نلمح في هذا الفضاء هيمنة وغلبة ذاتية الأديب أو الكاتب على مجموع الخطاب.

3-5- الفضاء الجغرافي:

هو مكان ينتجه الحكي محدود جغرافيا، قابل للإدراك والتخيل، كما أنه فضاء يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيه[2].

- ✓ بمعنى أن الفضاء الجغرافي هو ذلك الفضاء الذي ينتجه الحكي.
- ✓ فضاء يضم أحداث الرواية، وقد يكون فضاء خيالي أو حقيقي.

III- التمييز بين المكان والفضاء:

سأحاول في هذا العنصر الإجابة على هذا التساؤل وهو ما علاقة المكان بالفضاء ؟ كما سأدرج أراء ووجهات نظر بعض النقاد والباحثين التي ميزت بين هاذين المكونين السرديين حيث

(1) محمد عزام، المرجع السابق، ص: 73.

(2) نفسه، ص: 73.

نخلص الى ما توصل اليه حميد الحمداني في كتابه "بنية النص السردي"، وسعيد يقطين في كتابه "البنيات الحكائية في السيرة الشعبية "، وسلمان كاصد في كتابه "عالم النص" إلى التمييز بين هذين المصطلحين وعدم اعتبارهما كلا واحدا .

حيث يرى حميد الحمداني عندما تحدث عن تعددية الأمكنة في الرواية بأن تلك الأمكنة هي المشكلة لفضاء الرواية لأن "الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء"[1].

ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأماكن كلها فإنها جميعا تشكل فضاء الرواية، ويضيف توضيحا على ذلك من خلال قوله: "إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه إسم فضاء الرواية"[2].

يفهم من كل هذا أن تعددية الأمكنة في الرواية هي المشكلة للفضاء، مما يعني أن الفضاء ملم لأمكنة الرواية ولهذا اعتبر الفضاء مصطلحا شاملا قياسا إلى مصطلح المكان.

ويدرج سلمان كاصد في هذا الصدد رأيه حول قضية التمييز بين المكان والفضاء إذ يقول: "فضاء الرواية هو مجموع الأماكن التي تسهم في احتواء الحدث أو الشخوص"[3].

فهي إشارة إلى أنه يمكن إطلاق عليها إسم فضاء الرواية لأن الفضاء عنده أشمل من المكان.

وقد أدرج سلمان كاصد فضاء آخر داخل العمل ذاته يمكن تسميته بالفضاء النصي الذي يطلق عليه بعض النقاد تسمية الفضاء الطباعي وهو "تركيب الفقرات والمشاهد الذي يتعالق مع المحتوى الداخلي له أي مضمونه"[4].

---

(1) حميد الحمداني، المرجع السابق، ص: 63.

(2) نفسه، ص: 63.

(3) سلمان كاصد، المرجع السابق، ص : 165.

(4) نفسه ، ص: 165.

أما إذا جئنا إلى سعيد يقطين فنجده يتبنى الموقف نفسه والذي يرى أن الأمكنة تتضافر من أجل بناء فضاء روائي معتبرا الفضاء هو الكل الذي يتجزأ منه المكان، حيث يقول: "الفضاء أعم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي"[1].

أثار حميد الحمداني نقطة أخرى وهي أن "وصف المكان الروائي يستدعي توقفا زمنيا لصيرورة الحدث، أما الفضاء فيستدعي استمرارا داخليا، لذا إنه وبعد أن ينتهي وصف المكان في الرواية مثلا تأتي الحركة السردية لتؤكد حضور الزمان في المكان غير أن هذا الأخير ليس هو المكان الذي انتهى وصفه وهو بالتحديد ما نسميه الفضاء"[2].

هنا إشارة إلى اقتران وصف المكان باللإنقطاع الزمني، فلا يمكن تصور الفضاء الروائي دون تصور الحركة التي تجري فيه، في حين أنه يمكن تصور المكان الموصوف دون صيرورة زمنية حكائية.

(1) سعيد يقطين، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص: 240.
(2) حميد الحمداني، المرجع السابق، ص: 63.

وهذا التخطيط يشير ويؤكد أن الفضاء يشمل المكان ويلفه[1].

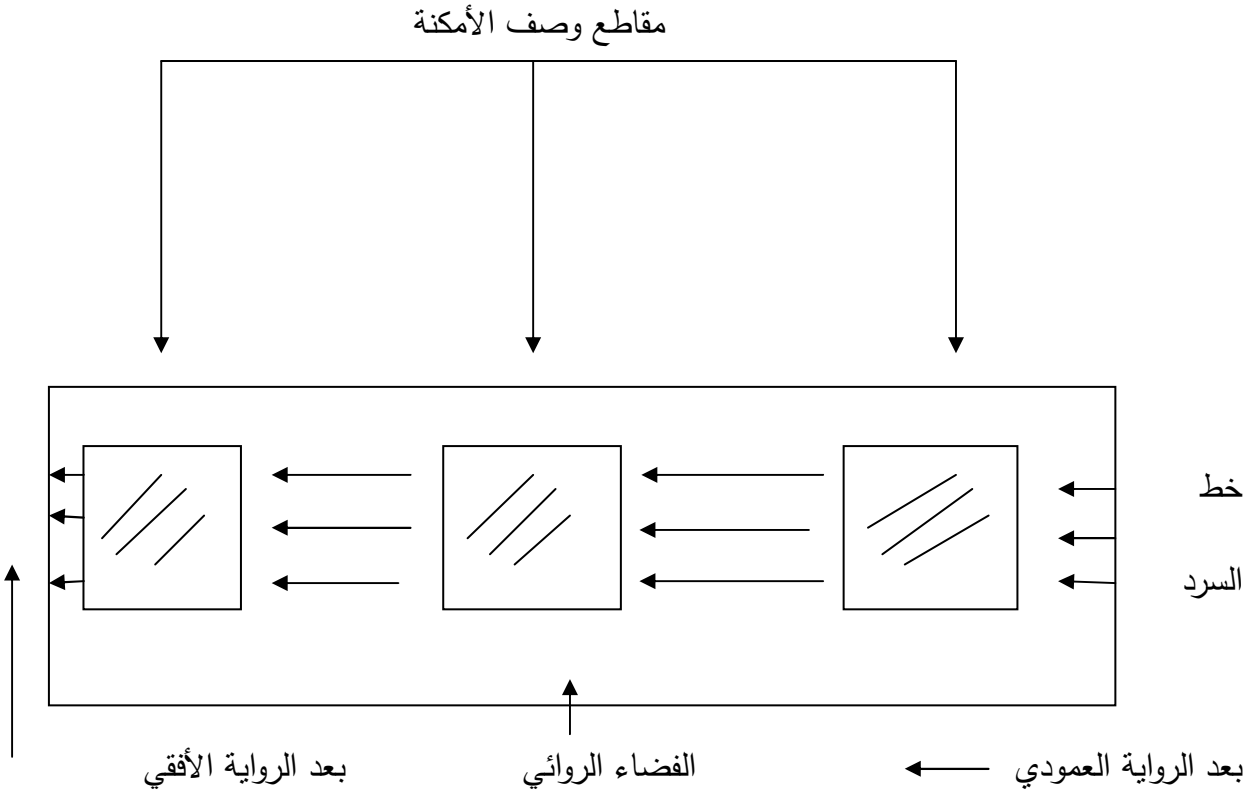

يوضح لنا هذا الشكل التخطيطي أن الفضاء يحيط بمجموع الرواية بما فيها الأحداث الاستمرارية للمكان، وبهذا يمكن أن يمثل الفضاء إطارا عاما للرواية بما فيها الأمكنة والأحداث، ويبرز من ذلك أن المكان المحدد للرواية يستلزم اللإنقطاع الزمني، وأن اللإستمرارية الزمنية لا تنقطع في الفضاء وتصور الفضاء الروائي مرتبط دوما بالحركة داخله.

وفي منطلق السرد نجد عبد الحميد بورايو قد عقد فصلا لدراسة أنماط وإشكال حضور الزمان والمكان في نماذج روائية جزائرية وفضل في مقاربته تلك استعمال مركب يجمع بين صيغتي حيز ومكان بما اسماه الحيز المكاني، مفرقا في ذلك بينه وبين ما اسماه بالحيز النصي[2].

(1) حميد الحمداني، المرجع السابق، ص: 64.

(2) عبد الحميد بورايو، المرجع السابق، ص: 116.

فالحيز المكاني – لديه– ذلك "الذي يشمل الأماكن سواء منها المتخيل أو الفعلي، أما الحيز النصي فهو كل ما يقع تحت البصر من إحداثيات نصية أي الصورة الشكلية التي قدمت بها الرواية للقارئ من حيث ترتيب أقسامها، وما يتعلق بعنوانها وعناوين فصولها ومضامين فاتحتها"[1].

أما إذا أخذنا رأي حسن نجمي في قضية الخلط بين مصطلح الفضاء والمكان فهو يردها إلى "الترجمة المشبوهة لكتاب غاستون باشلار (la poétique de l' espace)، والتي قام بها غالب هلسا حيث لم تتسم ترجمته بالضعف فحسب بل حتى بصرف المعنى الحقيقي المقصود ومن أخطائه ترجمة عنوان الكتاب جماليات المكان والصواب شعرية الفضاء وهذا سبب وقوع اللإلتباس في الحقل النقدي والأدبي"[2].

نخلص في الأخير إلى ما استنتجه سمر روحي الفيصل من أن " الفضاء الروائي والمكان الروائي مصطلحات بينهما صلة وثيقة وإن كان مفهومهما مختلفا"[3].

من خلال ما تم عرضه من مفاهيم حول مسألة التعالق بين مصطلح المكان والفضاء نستنتج بأن الدراسات النقدية الحديثة وظفت مصطلح المكان والفضاء بالفصل بينهما أحيانا وبالتداخل أحينا أخرى بحيث يصعب فصلهما في الدراسة التطبيقية ، ومن خلال هذا فإن توظيف أحدهما أو توظيفهما معا يخضع لما يتطلبه السياق العام للنص.

---

(1) عبد الحميد بورايو، المرجع السابق، ص: 116.

(2) حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص: 43

(3) سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤية مقاربات نقدية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003، ص:74.

الفصل الثاني

تجلي المكان في الرواية

I- لمحة وجيزة عن الرواية:

رواية الجرح الأخير للروائي بركات جمال الدين الصادرة عن دار الأمل بتيزي وزو عام 2010 عدد صفحات الرواية 335 ص، الواجهة الأمامية للرواية كانت باللون الأحمر دون فيها في الجانب العلوي اسم المؤلف أما في منتصفها فقد ورد عنوان الرواية وكان ذلك بخط أحمر كبير، إضافة إلى ذلك فقد حوت الواجهة على رسومات متمثلة في قلب يقطر دما ربما يكون هذا الرسم انعكاس لحالة صاحبه، بالإضافة إلى ذلك فقد حوت الواجهة أيضا خيال لرجل يمشي في طريق مظلم وضيق، هذا عن الواجهة الأمامية أما إذا انتقلنا إلى وصف الواجهة الخلفية للرواية فقد كانت بلون أبيض مخالف للواجهة الأمامية حوت الواجهة في الجهة العلوية إحدى عشر سطرا مأخوذ من محتوى الرواية ، أما الجهة السفلية فخصصت لدار النشر.

أما إذا جئنا للحديث عن محتوى الرواية فنجد فيها ملامح صوفية وبعض الشطحات الفلسفية اجتاز فيها الروائي مستويات رفيعة في مجال السرد على الرغم من أنها أول منتوج له.

- التعريف بالروائي:

بركات جمال الدين طالب جامعي من ولاية المسيلة، مؤلف رواية الجرح الأخير التي تعد أول محاولة له في مجال العمل الروائي، طرح فيها جملة من القضايا التي نعيشها، لغته خارقة، ذا وصف خلاق للشخصيات، مبدع قي تقمص أدوارها، ولعل نشأته الريفية ومخالطته للمدينة جعلته يملك آلية تشخيص هذه المعالم، مدة انجازه للرواية دام ثلاث سنوات، لكن أربع سنوات أخرى ضاعت في معاناته مع دور النشر، وفي كلمة وجهها للطلبة عقب احتفاله بصدور هذا المنتوج قال بأن كلمة الألم هي من تصنع العظمة والتميز وبدونها لن نعيش إلا بسطاء ولن نموت إلا بسطاء، ولن يذكرنا إلا الناس البسطاء، كما أن أول مفتاح للولوج لعالم الإبداع هو القضاء على ذلك

الخوف الذي ينتابنا من التعبير عما نريد البوح به إبداعيا ووعد في الأخير بتقديم المزيد في المستقبل[1].

II- وفي ما يلي ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية في بدايتها في إحدى القرى التي كان يسكنها صلاح بطل الرواية ، حيث كان يتمي إلى عائلة فقيرة تتكون من أبوين وخمسة أبناء ، حيث يعد صلاح الفتى الأصغر في الذكور وفتيحة الأصغر إناثا ، كان أبوه عاطلا عن العمل وأمه تعمل على صناعة الأواني الطينية وبيعها ، عاش بطل الرواية في صباه عند خالته حيث كان يدرس صباحا ويرعى الغنم مساء حين يعود من المدرسة ، و في أيام العطل كانت ترسله ليقتني لها بعض الحاجيات من دكان توسط الطريق بينهم وبين قرية مجاورة ، أحبته كولد أكبر لها وأحبها كأم ثانية له ، لم يكن بيتهم بعيدا عن بيت خالته فهو يقع في المدخل الشرقي للقرية حين تكون والجا لها والمخرج حين تكون مغادرها ، تمر الأيام حيث تشاء الأقدار أن تفارق أمه الحياة بعد صراعها مع المرض الذي ألزمها الفراش فحزن عليها صلاح حزنا شديدا حيث أحدث موتها في نفسه فراغا كبيرا دفعه إلى العودة إلى أهله دفعا قويا ، عاد إذا ولا يدري ماذا يخبأ له القدر داخل أسرة لم يحل عليها سوى ضيفا لساعات ثم يعلن المغادرة ملفوفا بغموض شفيف ، بعد مرور سبع سنوات على رحيل أمه قرر أبوه الزواج فرحل بعيدا عن أسرته هذا ما اقتضاه عمله كتاجر وعمل زوجته ، قبل زواج إخوته وتفردهم بالسكن كل في ناحية كان كل شيء يسير على ما يرام وأكثر مما تحتاجه أي أسرة لصيرورة دوامها ودوام صيرورتها ، لكن سلطة أخته فاطمة وخصامها المستمر مع زوجات إخوتها كان هذا سببا دفع بإخوتها إلى عدم تقبل فكرة تسلطها لذلك فقد ذاق سعيد بتصرفاتها ورحل إلى مسكن مجاور لهم وذلك الذي أيضا فعله مراد فرحل إلى المدينة ، بقيت فاطمة لوحدها مع صلاح حيث

(1) www.aswat.alchaml.com/ar/?p=98&a=39653

كانت قاسية في تعاملها معه ، فكان إذا تغيب عن البيت لا يعلم أحد أين هو وإن عاد فلن يسأل عنه أحد ذلك ، وكم مرة عاد إلى المنزل ولم يجد شيئا يسكت به صراخ معدته ففاطمة لن تقوم من نومها ولو كان قدوه منتصف النهار لأجل أن تعد له لقمة يسيرة لا تتعدى دقيقة أمام الموقد ، كل هذه المشاكل كانت سببا كي يعلن مغادرة المنزل إلى وجهة غير معلومة استوقف سيارة أجرة واتجه إلى المحطة فكانت وجهته إلى المدينة حيث تحصل هناك على فرصة للعمل في إحدى الورشات الصناعية كانت تلك أول محطة تنفتح فيها أعين صلاح على عالم جديد وأناس جدد جاءوا من كل مكان طلبا للرزق ، كان دائما يتساءل لما اختار هذه الغربة وهو لا يزال في سن مبكرة ألأنها أول ماتراءت له يوم لم تكن عيناه تبصر إلا هول الفاجعات ودمار النائبات أم إختارها لأنها أخر ما تبقى ، كان رفقائه في العمل في كل مرة يرغمانه على العودة إلى منزله غير أنه لا يأبه لكلامهم وبعد إلحاح شديد من صديقه خليل عزم العودة وهذا بعد غياب طويل دام سنوات عديدة ، عاد إذا إلى منزله ولما وصل سمع بأن أخته فاطمة في المستشفى التاع للخبر واتجها صوبها مباشرة حيث وجد هناك أخاه مراد الذي حكا له سبب مرضها وحمله مسؤولية ذلك لأن أخته فاطمة كانت قلقة كثيرا لشأن غيابه لأنها كانت تظن نفسها هي السبب في ذلك ، بعد ذلك أعلمه بأنه سوف يصطحبها للعيش معه رغما عنها لأنه قرر هو وسعيد اكتراء بيت العائلة للمقاولة واتفق على العقد الذي سيدوم ثلاث سنوات ، فصعق صلاح لهذا الخبر وقال له بأن بيت العائلة أغلى مخلفاتها وأقدس إرثها لا يجب أن يساوم على شيء ، لكن أخاه مراد صرخ في وجهه باستهتار وقال له بأنه يستطيع أن يعلن وفائه ولكن بعد انقضاء العقد ، بعد ذلك علم صلاح ما كان يرمي إليه أخوه مراد ودع أخته فاطمة التي كانت تسبح في غيبوبة وقفل راجعا ، هاتف صديقه خليل وطلب منه أن ينتظره في مدخل المدينة ، ركب مع صديقه في السيارة ثم بعد ذلك طلب خليل من صلاح أن يريحه من القيادة وبينما هو ممسك بمقود السيارة فقدت يداه القدرة على توجيه المقود في أحد

المنعرجات ، انزلقت العجلات وتطايرت السيارة في الهواء ثم سقطت على مقدمتها ، فكانت النهاية بهاته الطريقة[1].

III- تجلي المكان في الرواية :

يعد المكان أهم عناصر العمل الروائي، ذلك أنه يقوم بدور فاعل في بنائها وتركيبها، فمنه تنطلق الأحداث وفيه تسير الشخصيات، فهو عنصر مهم في تماسك شخصيات الرواية وأحداثها. وفي هذا الصدد سأحاول رسم ملامح المكان في الرواية عن طريق حصر الأمكنة وكيفية تعبير المؤلف عنها وإبرازها لنا.

حيث أن الراوي جسد مجموعة من الأمكنة تنوعت بين المفتوح والمغلق، وبين العام والخاص، وبين الداخلي والخارجي، وبين كل مكان ومكان تختبئ دلالة أبسط ما يمكن أن نقول عنها أنها ذات نكهات مختلفة أعطت للنص ذوقا وإيقاعا وصدى ، ذلك أن التعامل مع الأمكنة لم يكن تعاملا حسيا وجغرافيا جافا، وإنما كان تعاملا فنيا فيه من الإحساس والمشاعر ما يترك لنا رحابة التحاور والجدل والتقرب منها.

ولدراسة أنواع المكان في رواية الجرح الأخير لصاحبها بركات جمال الدين، اخترت نوعين مهمين من أنواع المكان ألا وهما: الأمكنة المنفتحة والأمكنة المنغلقة وهذا حسب ما أشار إليه الناقد عبد الحميد بورايو.

1- الأمكنة المنفتحة:

تكتسي الأماكن المنفتحة أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على "الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"[2]، من خلال "ما تمد به الرواية من

(1) بركات جمال الدين ، الجرح الأخير ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2010

(2) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 79.

تفاعلات وعلاقات تنشا عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء"[1] .

حيث سأقوم بترتيب هذه الأماكن بناء على درجة انفتاحها من جهة وكثافة حضورها في الرواية ومن نماذجها في الرواية نذكر الأماكن الآتية:

1-1- القرية:

هي ذلك الحيز المكاني الخصب الذي يؤثر في الإنسان وتشده إلى الأرض، وتتميز جغرافيا بامتداد حقولها وبساطة أبنيتها التي تعكس حياة أصحابها[2].

حيث تعتبر القرية من أهم الأماكن التي ركز عليها الروائي، بحيث تبدأ الرواية بتقديم صورة عن هذا المكان فيصفه قائلا: " كان عند خالته إبنا مطيعا يدرس في النهار ويرعى الغنم مساء حين يعود من المدرسة، وفي أيام العطل كانت ترسله ليقتني لها بعض الحاجيات من دكان توسط الطريق بينهم وبين قرية مجاورة على بعد كيلومترات قليلة "[3].

"وراحت تتغير معالم قريتك المنسلخة من عصور الطوب والبناءات الترابية، وتتعرى من ثوبها الباهت بألوان التراب الشاحبة التي تشبه إلى حد مذهل صور الموت"[4].

ويضيف: " اتسعت قريتك حتى ضاقت على الرعاة طرقات التنقل إلى مراعيهم، وصارت ثلاث نعاج تحتاج عشرة رجال حتى تخرج من القرية بعيدا إلى المراعي، دون أن تتذوق فما واحدا من زرع فلان أو تقضم غصنا من بستان آخر"[5].

---

(1) فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية (دراسة في ثلاث روايات الجذوة –الحصار– أغنية الماء والنار)، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، 2003، ص: 80.

(2) حنان محمد موسى حمودة، المرجع السابق، ص: 29.

(3) الرواية، ص: 20.

(4) الرواية، ص: 21.

(5) الرواية، ص: 22.

قدم لنا الراوي هذه القرية في البداية بوصفها إطارا جغرافيا، ثم بعد ذلك أصبحت عنصرا مهما من عناصر تطور الأحداث ووقوعها في محاور الرواية، فكانت تمثل لصلاح وهو الشخصية المحورية والرئيسية في الرواية منبع الذكريات، حيث كان يتذكر من خلالها مساءات تلك الجمعات حين كان يذهب مع أمه لجلب الطين من الكاف الأسود في الوادي الذي يلف قريته من الغرب، ليصبح بهذا مكانا للحنين والشوق إلى أيام الطفولة والصبا.

1-2- المحطة:

تعتبر المحطة من الأماكن المنفتحة، فهو مكان تلتقي فيه أنواع مختلفة من البشر، ويزخر كذالك بأشكال متنوعة من الحركة.

ونستهل الحديث عن هذا المكان المفتوح الذي يعكس أجواء المدينة الصاخبة باعتبارها همزة وصل ومكانا لتلاقي قيم الريف مع قيم المدينة، وهي المعبر الذي من خلاله تتحقق الأحلام أو تنكسر وفي محطة المسافرين وكما عبر عنها الروائي التقى صلاح الشخصية الرئيسية بابنة خالته ملية وقد دار بينهما هذا الحديث: "صلاح ... كيف حالك أما زلت هنا بالعاصمة؟ أتاه صوتها واهنا مستكينا.

- أجل، ما زلت هنا، أتحتاجين شيئا؟
- صلاح، أنا آسفة .. لكن أنا بحاجة إلى مبلغ مالي أعود به إلى البيت، لقد سرقت مني حقيبتي في الحافلة مساء الأمس وبها كل أغراضي ... قاطعها
- لا عليك متى تنوين العودة حتى أوصلك المبلغ[1].

كانت تلك أول محطة تنفتح فيها عين صلاح على عالم جديد وأناس جدد، جاءوا من أماكن مختلفة، وهي أول خطوة لتحقيق الحلم كما كانت محطة فاصلة بين الريف (القرية) والمدينة، ومع

(1) الرواية، ص: 44.

أن المحطة تدفع في الغالب إلى الانتقال من المكان المرفوض إلى المكان المحبوب، إلا أن محطة صلاح الأولى كانت انتقالا من المكان المحبوب إلى المكان المرفوض، ولكنها اعتبرت جسرا تحققت من خلاله بعض الأحلام.

1-3- الشارع:

الشارع مكان منفتح فهو الحيز المكاني الذي تلتقي فيه حشود بشرية، فنجد فيه حركة أكثر من أي مكان آخر، فهو الامتداد المستقيم الواسع الذي يصل أطراف المدينة يعظها ببعض فهو الحيز المكاني الذي تلتقي فيه حشود بشرية[1].

كما يعتبر جزء لا يتجزأ من المدينة وأحد العلامات المكانية البارزة فيها وتنفتح عليه الأبواب وتتحرك من خلاله الشخصيات، وهو أكثر من جغرافيا مكانيا لأنه "الخيط الفاصل بين عالمين: عالم السر وعالم الجهر إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم الناس السري ويبدأ عالمهم العلني حيث يبدأ الشارع وحين تتكشف الأسرار وتعلن الأعماق عن خفاياها ... إنه الشارع النابض بالحياة"[2].

الرواية حافلة بالشوارع والأحياء حيث نجد الراوي لم يرسم أبعادها الجغرافية وإنما اكتفى بذكر الأحداث المرتبطة بها والوظيفة التي تؤديها، ومن نماذجها في الرواية نذكر:

" استدرت في الشارع الآخر كي تجلب علبة سجائر... وقابلتك بمحياها المتلون بالأصفر الباهت والأزرق البارد والأسود المضل".

ويضيف كذلك: قفلت راجعا إلى رحم الشوارع وفوضاها كي تجلب علبة أخرى بل ربما تفكر في اثنتين فهته الليلة سيهب خريف الوحدة المقرس وصقيع اللاإنفراد القارص[3].

---

(1) فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001، ص: 288.

(2) أحمد زنيبر، جماليات المكان في قصص الياس الخوري، دراسة نقدية، التنوخي للطباعة والنشر، المغرب، 2001، ص: 46.

(3) الرواية، ص : 60.

يمثل الشارع مكانا انتقاليا لجميع الناس وفيه تتوفر تقريبا جميع متطلبات ومستلزمات حياتهم اليومية لاحتوائه على دكاكين وحوانيت، ويعتبر كذلك مصدر رزق لهم أما إذا جئنا إلى الشخصية المحورية والتي تدور حولها مختلف وقائع الرواية فقد مثل الشارع لها المكان والمتنفس الذي تلجا إليه عندما تشعر بالوحدة والضيق.

1-4- المقهى:

المقهى في الرواية مكان لتجمع الناس للتسامر، فمكانية المقهى مقترنة بالشخصية هي حالة الإنسان التي يستعيد من خلالها مشكلات الحياة وصورها.

ونستهل الحديث عن هذا المكان المفتوح الذي يعكس الواقع اللإجتماعي، والمقهى الوارد في الرواية هو مقهى الورشة التي يعمل فيها صلاح وهي كما يعبر عنها الراوي: "مقهى مخصصة للعمال داخل الورشة بأمر من مالك العقار مع بعض المساعدات في الأسعار كامتياز على الانضمام إلى شركته، وكان كل ما يؤثث هذا المطعم أقصد المقهى مجموعة ألواح صنعت بها موائد ومقاعد وباب مكسر جراء أيد خشنة تفتحه وتغلقه في عنف دون أن تتعمد ذلك"[1].

إذن يمثل المقهى بوصفه مكانا حاسما مشتركا للأمكنة التي يحيا فيها، وهو بمثابة محطة رابطة بين أمكنة العيش وأمكنة العمل وأمكنة الترفيه، ثم هو المكان المختزل لكل هذه الأماكن كما يؤدي دورا حيويا بين الأفراد للخروج عن ملل الحياة اليومية.

فمقهى الورشة وكما عبر عنه الروائي كان مكانا لالتقاء الشخصية المحورية مع باقي الأشخاص اللذين يعملون معه لقضاء وقت الفراغ.

(1) الرواية، ص : 79.

1-5- الورشة:

وهي المكان الذي كان يرتاده صلاح مع رفقائه في العمل، حيث يقدم الراوي وصفا لهذا المكان بقوله: "... دخل الباب وتوغل في المنطقة الصناعية حتى بلغ منصة إسمنتية عالية ... كانت البناية لا تزال في طور البناء والتشييد رغم أن الأعمال المهمة قد قطعت فيها أشواطا طويلة ولم يبق الكثير لتصبح جاهزة للسكن مع غيرها من العمارات... كانت فيها فرق تعمل على فصل الغرف من الداخل ببناء الجدران وتلبيسها وتركيب النوافذ والأبواب، وأخرى على تكليس الجدران والأسقف وتجبيسها، ثم تأتي فرقة أخرى تقوم بدهنها وطلائها حسب ذوق المشتري"[1].

استطاع الراوي أن يصور هذا المكان الذي يزخر بالحركة والذي يعبر عن صور واقعية متعددة للأشخاص الذين يعملون فيها ، كما اعتبر محور الصداقة التي جمعت صلاح بمجموعة منّ الرفقاء الذين زفهم القدر للعمل في نفس المكان بعدما أرغمتهم الظروف اللإجتماعية على ذلك.

1-6- المستشفى:

يعد من الأماكن المنفتحة التي يقصدها الإنسان لتلقي العلاج ومختلف الخدمات الصحية.

ومن نماذجه في الرواية نذكر: "... خرج من المستشفى وهو يتساءل في نفسه لماذا طلب منه الطبيب أن يعاود زيارته بعد أسبوعين... العاشرة صباحا وأنت تلج المستشفى، هنا ينتظر رجل ممسكا رأسه براحة يده اتقاء الألم قد تحدث به حاجبان مقطبان، ومن هناك تمدد رجلها اليسرى وتضع يدها على موضع كليتها، وعلى الكرسي الآخر أم تحمل ولدها الصغير في حجرها بينما كان صوته يئن في خفوت "[2].

قدم لن الراوي من خلال هذا المثال مشهدا لمختلف فئات المجتمع ومعانات كل فرد منه.

---

(1) الرواية، ص : 61.

(2) الرواية، ص :301.

1-7- المسجد:

يوظف المسجد في النصوص الروائية على انه "بنية ذات اثر ايجابي في توجيه السلوك وتهذيبه"[1].

والمسجد مكان للعبادة والصلاة وملاذ كل شخص يطلب الراحة والسكينة والعلم.

ومن نماذج هذا المكان في الرواية نذكر قول الراوي: " بحثت عن مكان تغمض فيه العينين ساعة أو اثنين جلت المدينة، وحين أتعبك البحث وخانتك الساقان عن المواصلة كانت الثانية صباحا تثقب الليل بدقاتها ... مسجد الصحابة المكان ملائم لتمضية الليلة حتى ينشق الصبح ... ما كنت تأبه لأمر المصلين حين يغدون فجرا ويجدونك تفترش حصيرتهم وتتغطى بها "[2].

برز المسجد في هذا المثال كمكان تستكين فيه النفس البشرية وتلجا إلى هذا المكان المقدس طلبا للراحة والسكينة فقد غدى هذا المكان كمعادل وبديل عن البيت أو الغرفة.

1-8- الجامعة:

هي عبارة عن مكان مفتوح وتعد رمز العلم والثقافة والإنفتاح نحو العالم الخارجي، يكمل الطالب فيها الدراسات العليا بعد مسيرة من العطاء الدراسي، كما تعبر عن حضارة وتقدم الأمم من خلال الأبحاث التي يقوم بها.

من نماذج هذا المكان في الرواية نذكر قول السارد: " الثالثة مساءا هاتفك خليل أنه على مشارف مدخل المدينة قصدت مفترق الطرق أمام الجامعة تنتظره هناك كما اتفقتما سابقا ... ما

(1) محمد إبراهيم، تجليات المكان في السرد الحكائي، فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص : 121.
(2) الرواية، ص : 327.

كنت لتأتي هذا المكان لو خبرت قبلا أن صدفة بهذا الحجم سوف تعلن المرور، وتشاكس انتظارك العبثي الفارغ بكل هذه الفوضى المحتدمة بسيرة ذكريات نحيا فيك مهترئة كجثة منحلة "[1].

مثّلت الجامعة في هذا المثال نقطة التقاء جمعت بين البطل ومحبوبته بعد سنوات من الغياب.

2- الأماكن المنغلقة:

المكان المغلق هو المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته، أو بإرادة الآخرين لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية الذي قد يكشف عن الألفة والأمان أو قد يكون مصدرا للخوف والذعر[2].

ومن نماذج هذه الأمكنة في الرواية نذكر:

2-1- البيت :

يعتبر البيت كما هو متعارف عليه المسكن أو المأوى الذي تأوي إليه جميع المخلوقات طلبا للراحة والاستقرار، فهو البنية الأساسية للعمران البشري المتمثل في مجموع القرى ومجموع المدن، ولأن البيت ليس مجرد كيان نحيا أو نسكن فيه، وإنما هو جزء من كياننا ووجودنا الإنساني[3].

أما غاستون باشلار فيذهب إلى القول أن المكان هو "واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية فبدون بيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا"[4].

(1) الرواية، ص : 328.

(2) ينظر، فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، ص: 163.

(3) غادة الإمام، غاستون باشلار، (جماليات الصورة)، التنوير لطباعة والنشر، بيروت، 2010، ص: 290.

(4) غاستون باشلار، المرجع السابق، ص: 38.

ورغم تعدد التسميات التي يحظى بها البيت في الأعمال الروائية كالمنزل، الشقة، الدار، فإن هذه التسميات تلتقي جميعا لتؤكد دلالة واحدة مفادها أن البيت "مكان لا بد منه لضمان استقرار الفرد وإثبات وجوده، فهو خلية يتجمع فيها وداخلها أفراد العائلة حيث يمارسون بشكل تلقائي علاقاتهم الإنسانية "[1].

ويتصل البيت أيضا بلحظات الخوف من المستقبل ومن المجهول وأيضا بالبوح بمكونات النفس وهواجسها ويتجلى هذا في قول الكاتب: " قصدت بيت أخيها المجاور لبيتهم فوجدتها هناك تائهة في أضواء المدينة، تراءت لها من بعيد أسرتها طقوس الوحدة التي كانت تتعبد فيها كمتبتل في محرابه، وتقدمت نحوها بخطوات بطيئة وهي تقف على الشرفة مهمومة وحيدة "[2].

2-2- الغرفة:

تتميز بمحدودية مساحتها وانغلاق جدرانها وصغر حيزها وهي تشغل حيزا مهما من حياة الإنسان، إذ أنها غالبا ما تكون مصدر راحة وأمن وطمأنينة ولها دور كبير من ناحية الجانب النفسي للإنسان فهو يحقق ذاته من خلالها إذ يعتبر المكان الوحيد الذي يتصرف فيه بحرية.

حيث يصف لنا الكاتب هذه الحجرة ويقدم لنا مافيها وهذا في قوله " فتحت الباب ودخلت الغرفة ... هنا جرائد مرمية وأخرى هناك ... مقاعد لوحية التفت كما لو تتسامر حول مائدة هزيلة ... في الركن الأيمن انتصبت لوحتان كبيرتان من الأرضية حتى السقف ... نظر إلى سريره وقد تكدست فوقه أغطية وألبسة شتوية "[3].

(1) أحمد زنيبر، المرجع السابق، ص 53.

(2) الرواية، ص: 15.

(3) الرواية، ص: 80.

تمثل هذه الحجرة نقطة تحول في حياة البطل، وتكون المكان الذي أثره بعد مغادرته لمسكنه الكائن في القرية، حيث كان يشعر في هذا المكان بمعنى الغربة الحقيقي وهي تحفه في سرمدية مثقلة والتي غالبا ما تزوره لحظات الوحدة حين يعود أحد زملائه في العمل من زيارة أهله.

2-3- السجن:

يمثل السجن " مكانا مدينيا يرتبط وجوده بالمدينة، وهو مكان يعلن دوما عن عدائه وحربه الضروس ضد الشخصية من خلال انغلاقه وضيقه وظلمته وبرودته، ولأن السجن مكان محبط واستلابي فإن الشخصية تجبر على اللإنتقال إليه بما يتضمنه ذلك اللإنتقال من تحول في القيم والعادات وإثقال لكاهلها بالالتزامات والمحظورات"[1].

وبذلك "فالسجن هو بمثابة الحقيقة الثابتة في المجتمعات الخاوية من الحرية "[2].

أما عند عبد الحميد بورايو فيتميز السجن عنده "بالإنغلاق وتحديد حرية الحركة ، وخضوع المقيمين فيه للقانون الصارم، وانغلاقه هو مصدر المرارة والألم الذي تتضح به مشاعر الشخصيات التي توجد داخله "[3].

أما عند حنان محمد موسى فالسجن " مكان ذا حواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه إلا بتحطيم هذه الحدود والحواجز "[4].

(1) حسن بحروي، المرجع السابق، ص 55.

(2) نفسه، ص: 106.

(3) عبد الحميد بورايو، المرجع السابق، ص:122.

(4) حنان محمد موسى حمودة، المرجع السابق، ص 101.

ويصف لنا الراوي هذا المكان على لسان الشخصية المحورية إذ يقول: " إلى غرفة مظلمة واسعة دخلتم جميعا، ثم ولجتم بابا صغيرا انتهت به زاويتها اليمنى أفضى بكم إلى رواق ضيق ... دخل المساجين واحدا إثر أخر تفتش نظراتهم في وجوهكم، يتوقف هذا عندما يتعرف لأهله"[1].

يلاحظ مما تقدم أن هذا المكان زرع الرعب والخوف في نفوس الشخصيات، كما يعتبر مكان معاد لا يبعث على الراحة والأمان.

من خلال ما تم عرضه لأنواع الأمكنة في الرواية نخلص إلى أن الذات البشرية لا تكتمل في تفاعلها مع ذاتها إنما خارجها لتؤثر في كل ما حولها، ومن ثم تسقط قيما حضارية معينة على الأماكن التي تلجا إليها وغالبا ما نجدها تفضل أماكن على أخرى، إذ نجد أن الأماكن المرغوبة تتصف باللإنفتاح والمرفوضة تتصف باللإنغلاق وقد لا تعطي هذه الأماكن الدلالة نفسها، فهناك أماكن مغلقة ومحدودة ولكنها جاذبة للإنسان وممثلة لحمايته.

(1) الرواية، ص: 105.

خاتمـة

""

خاتمة

بعد أن من الله علي بإتمام هذا البحث واكتمال ملامحه الفارقة والتوصل إلى جمع ما تيسر من معلومات بالقراءة والتحليل لرواية " الجرح الأخير " ستكون هذه الخاتمة آخر جزئية أختم بها هذه المرحلة لذلك سأحاول أن أرصد فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والتي سألخصها في النقاط التالية:

- لم يعد المكان إطارا خارجيا فقط بل غدى عنصرا مؤثرا يحمل دلالات وأبعاد وقيم فنية.
- يقدم المكان مساعدة للقارئ في التفكير والتركيز وإدراك الأشياء والبيئة ذهنيا (أي يتخيله بمخيلته ويجعله ذلك يعيش الحدث داخل الرواية) وبذلك تنتظم لديه الأحداث والشخصيات في وحدة متكاملة.
- يساعد المكان على وصف الأحداث والتنبؤ بها والتمهيد لها من قبل الكاتب قبل الخوض فيها.
- من خصائص المكان أنه يميز العمل الروائي ويعطيه خصوصية وذلك بفعل التأثير القوي الذي يتركه في ذهن المتلقي فيتجاوز مرحلة الإدراك البسيط العفوي للمكان إلى إدراك معقد له وهذا ناتج عن التزاوج بين النظرة الحقيقية للواقع والنظرة الفنية له.
- يعتبر المكان الإطار الذي تقع فيه أحداث الرواية إذ لا يمكن تصور حدث روائي بعيدا عن المكان.
- عمل المكان في الرواية على فهم الإطار العام للأحداث، ففيه تتجمع مشاهد وفقرات وحوارات الرواية سواء كان ذلك حقيقة أم خيال، ذلك أن العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته.

- نلاحظ تعدد الأمكنة في الرواية ليس بهدف إثقال الرواية، وإنما بهدف خدمة النص، فهو عمد في بناء روايته على التوزيع المكاني، وترك للشخصية حريتها في إظهار مشاعر مختلفة اتجاهه.
- نوعت الرواية بين الأماكن المفتوحة مثل القرية، الشارع، المقهى، والأماكن المغلقة كالسجن، والغرفة، والبيت حيث تختلف دلالة هذا الأخير فهو أحيانا مكانا للاحتماء والاستقرار، وأخرى مكانا للتذمر وأخرى للتفكير والانفراد بالنفس.
- البناء الجيد للمكان ساهم في خدمة مكونات الرواية خصوصا الشخصية مما ساعد على إنتاج أمكنة مشتركة بفعل دلالة المكان وتفاعل الشخصية.
- المكان في الرواية يحمل أكثر من مفهوم، وأكثر من دلالة لارتباطه بما هو موجود سواء أكان محسوسا أو مدركا، وبذلك يتجاوز معناه التقليدي المقتصر عليه كجغرافيا، ليتسع بناء على الدراسة التي تناولته ومع ذلك فإن أهميته لا يمكن أن تحصر في مكان دون آخر، لأن دور الأمكنة يتداخل فيما بينها وهو ما يؤكد أن الرواية لا يمكنها أن تبنى على مكان منفرد، لأن مجموع الأمكنة هو ما يعطيها تفاعلها وحركيتها.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد ألممت بعناصر الموضوع ولو بالقليل، وأشكر الله وأحمده على هذا الإنجاز.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

قائمة المصادر:

1- الخليل أحمد الفراهيدي، العين، مج 04، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان 2003.

2- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بني مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 13، دار صادر، ط 04، لبنان، 2005.

3- بركات جمال الدين ، الجرح الأخير ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2010.

قائمة المراجع العربية :

1- أحمد زنيبر، جماليات المكان في قصص اليأس الخوري دراسة نقدية، التنوخي للطباعة والنشر، المغرب، 2001، بغداد 2001.

2- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990،

3- حسن نجمي ، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.

4- حميد الحمداني، بنية النص السردي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.

5- حميد عبد الوهاب البدراني، الشخصية الإشكالية مقاربة سوسيو ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، بيروت، 2013.

6- حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، أحمد عبد المعطي نموذجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

7- سعيد يقطين، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1977.

8- سلمان كاصد، عامل النص، دراسة بنيوية في الأدب القصصي التركلي نموذجا، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

9- سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربة نقدية ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2003.

10- سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

11- شريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية ، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.

12- صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني ،جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجد للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

13- طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989.

14- عبد الحميد بورايو، منطلق السرد دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

15- غادة الإمام، غاستون باشلار(جماليات الصورة)، التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، 2010.

16- فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية دراسة في ثلاث روايات (الجذوة، الحصار، أغنية الماء والنار)، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، 2003.

17- فيصل دراج ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د ت).

18- محمد إبراهيم، تجليات المكان في السرد الحكائي، فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

19- محمد عزام، شعرية الخطاب الروائي، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2005.

20- محمد عويد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي مؤسسة دار الصادق الثقافية، الأردن، 2012.

21- نجلاء مشعل، تحليل الخطاب الروائي النسوي أنموذجا، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.

22- هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن 2004.

23- ياسين النصير، إشكالية النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

24- ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

المراجع المترجمة:

1- غاستون باشلار، جماليت المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط 4، بيروت، 1984.

الانترنت :

. www. Aswat.alchamal.com / ar/ ?p= 98a= 39653

الفهـرس

الفهرس

كلمة شكر ..... /
إهداء ..... /
مقدمة 5-6
مدخل نظري 07
الفصل الأول : التمييز بين المكان والفضاء 10
I- المكان مفهومه وأنواعه 11
1- مفهوم المكان لغويا 11
2- مفهوم المكان عند الفلاسفة 12
3- مفهوم المكان اصطلاحيا 12
4- أنواع الأمكنة 15
5- أهمية المكان في العمل الروائي 19
II- القضاء مفهومه وأنواعه 21
1- مفهوم الفضاء لغويا 21
2- مفهوم الفضاء اصطلاحيا 21
3- أنواع الفضاء 22
3-1- الفضاء الروائي 22
3-2- الفضاء النصي 23
3-3- الفضاء الدلالي 23
3-4- الفضاء كمنظور او كرؤية 24
3-5- الفضاء الجغرافي 24
III- التمييز بين المكان والفضاء 25
الفصل الثاني : تجلي المكان في الرواية 29
I- لمحة وجيزة عن الرواية 30
- التعريف بالروائي 30
II- ملخص الرواية 31

III- تجلي المكان في الرواية 33
1- الأمكنة المنفتحة 33
1-1- القرية 34
1-2- المحطة 35
1-3- الشارع 36
1-4- المقهى 37
1-5- الورشة 38
1-6- المستشفى 36
1-7- المسجد 38
1-8- الجامعة 39
2- الأماكن المنغلقة 40
2-1- البيت..... 40
2-2- الغرفة 41
2-3- السجن 42
خاتمة 44
قائمة المصادر والمراجع 47
الفهرس 51